المحاضرة الثانية: الفضاء العمومي البورجوازي

تمهيد:

سبق الحديث عن الفضاء العمومي و مساهمته في تطوير فهم العلاقات بين الأفراد والمجتمع والدولة في الفلسفة السياسية والاجتماعية، حيث طرح المفهوم لأول مرة من طرف الفيلسوف الألماني **يورغن هابرماس** في دراسته الشهيرة "التحول البنيوي للفضاء العمومي" (1962)، التي تناول فيها تطور الفضاء العمومي البورجوازي في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وتأتي هذه المحاضرة لتسلط الضوء على مفهوم الفضاء العمومي البورجوازي، نشأته، خصائصه، دوره في تشكيل الرأي العام، والتحديات التي واجهها في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية.

1. تعريف الفضاء العمومي البورجوازي:

الفضاء العمومي- كما عرفه هابرماس- هو ذلك الفضاء الذي يلتقي فيه الأفراد كأعضاء متساوين في المجتمع، حيث يتم تبادل الآراء والمناقشات حول القضايا العامة التي تؤثر على الصالح العام؛ يتميز هذا الفضاء بكونه مفتوحا أمام الجميع دون تمييز على أساس الطبقة الاجتماعية أو السياسة، ويعتمد في جوهره على **التداول العقلاني** الذي يشمل الحوار والنقد من أجل الوصول إلى إجماع حول القضايا العامة، وفي هذه المساحة يتم الحديث عن القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعيدا عن التدخلات السلطوية أو الهرمية.

أما بالنسبة للفضاء العمومي البورجوازي تحديدا، فيتعلق الأمر بالفضاء الذي نشأ في أوروبا مع بروز الطبقة البورجوازية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، والذي أصبح بيئة خصبة لتشكل الرأي العام والمشاركة السياسية.

2. نشأة الفضاء العمومي البورجوازي:

ارتبط الفضاء العمومي البورجوازي بالنشوء التدريجي للطبقة البورجوازية في أوروبا، وخاصة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث خلال هذه الفترة، بدأت الطبقة البورجوازية في التحرك بعيدا عن الهيمنة الإقطاعية والملكية، وكان من بين أوجه هذا التحول ظهور **المقاهي الأدبية، الصالونات الثقافية، والصحف المستقلة.**

وقد كانت **المقاهي الأدبية** في باريس ولندن و**الصالونات الثقافية** التي كانت تديرها النخب الثقافية والاجتماعية، أماكن تجمع للمفكرين والسياسيين والمثقفين، حيث يتم تناول القضايا العامة والنقاش حول السياسة والفكر الاجتماعي، كما لعبت الصحف والمجلات دورا مهما في نقل الأفكار والتوجهات السياسية والثقافية إلى شريحة واسعة من المجتمع، وهو ما ساعد على ظهور **الرأي العام** كقوة مؤثرة في السياسة.

في هذا السياق، تم اعتبار الفضاء العمومي البورجوازي مساحة جديدة يتم فيها تطوير مفاهيم جديدة للحرية والمساواة، حيث بدأ الأفراد في ممارسة الحق في التعبير عن آرائهم ومناقشة قضايا المجتمع بشكل علني ومنظم.

3. خصائص الفضاء العمومي البورجوازي:

يتسم الفضاء العمومي البورجوازي بمجموعة من الخصائص التي تميز هذا النوع من الفضاءات:

1. **الاستقلال عن السلطة**: الفضاء العمومي البورجوازي كان مستقلا عن تأثيرات السلطة السياسية والدينية؛ في هذه المساحة كان يتم النقاش بشكل حر بعيدا عن الهيمنة الملكية أو الدينية، مما جعل الأفراد قادرين على التعبير عن آرائهم بحرية .**(Hauser, 1999, p. 22)**
2. **التداول العقلاني**: كان الفضاء العمومي يعتمد على الحوار العقلاني والمنطقي بين الأفراد، حيث أن في هذا الفضاء كان يتم التوصل إلى حلول ومواقف من خلال النقد والتداول بدلا من فرض الآراء بالقوة أو باستخدام السلطة **(Habermas, 1962, p. 53)**.
3. **المساواة في المشاركة:** من المفترض أن يكون الفضاء العمومي مكانا تتساوى فيه كافة الأطراف في حق المشاركة، حيث لكل فرد حق التعبير عن رأيه بغض النظر عن مكانته الاجتماعية أو الاقتصادية **(Calhoun, 1992, p. 87)**.
4. **الشفافية والانفتاح**: كان الفضاء العمومي يتمتع بقدر كبير من الشفافية، بحيث يمكن للمواطنين الاطلاع على النقاشات العامة والمساهمة فيها **(Fraser, 1990, p. 62)**.

4. دور الطبقة البورجوازية في الفضاء العمومي:

لقد كان للطبقة البورجوازية دورا محوريا في تطوير الفضاء العمومي البورجوازي، فالطبقة البورجوازية التي نشأت من طبقات التجار والمثقفين الذين كانت لديهم الإمكانية الاقتصادية والعقلية للتحرر من الأنظمة الإقطاعية والملكية، أسهمت في تشكيل هذا الفضاء الجديد، هذا الأخير الذي بات أداة لتوسيع دائرة المشاركة السياسية والاجتماعية للطبقة الوسطى، مما ساهم في تشكيل الأساس لنشوء الديمقراطية الحديثة.

ومن خلال السيطرة على **وسائل الإعلام** مثل الصحف والمجلات، تمكنت الطبقة البورجوازية من نشر أفكارها ومن ثم التأثير في توجهات الرأي العام، كما كان لديها دور في تشكيل **المؤسسات الثقافية والفكرية**، مثل الصحف والمجلات التي أصبحت أدوات أساسية في نشر الثقافة الفكرية والسياسية **(McGuigan, 2005, p. 100)**.

5. التحديات التي واجهها الفضاء العمومي البورجوازي:

على الرغم من أن الفضاء العمومي البورجوازي كان من المفترض أن يكون نموذجا للمشاركة الحرة والتداول العقلاني، إلا أنه واجه العديد من التحديات مع مرور الزمن:

1. **توسع الرأسمالية:** فمع توسع النظام الرأسمالي، بدأت وسائل الإعلام تصبح أدوات تجارية تسعى إلى جذب القراء من خلال الإثارة والتسلية بدلا من تحفيز النقاش العقلاني، هذه التحولات أثرت سلبا على قدرة الفضاء العمومي البورجوازي على الحفاظ على دوره كمكان للتبادل الفكري الجاد **(Habermas, 1962, p. 146)**.
2. **تدخل الدولة:** حيث بتطور الدولة الحديثة، ازدادت تدخلات الحكومة في الفضاء العمومي، مما أدى إلى تراجع استقلاليته، وقد أصبح الفضاء العمومي عرضة للهيمنة السياسية .**(Sparks, 2001, p. 57)**
3. **إقصاء الفئات المهمشة**: من أهم الانتقادات التي وجهت للفضاء العمومي البورجوازي أنه كان فضاء حصريا، حيث تم استبعاد فئات اجتماعية معينة، مثل النساء والفقراء والمجموعات العرقية، من المشاركة الفعالة في هذا الفضاء .**(Fraser, 1990, p. 64)**
4. **ظهور الفضاءات البديلة**: في هذا السياق، ظهرت العديد من الفضاءات الفرعية، التي تعبر عن اهتمامات وهويات مختلفة، مما أضعف الوحدة المثالية التي كان يروج لها الفضاء العمومي البورجوازي **(Hauser, 1999, p. 90)**.

5. الفضاء العمومي في العصر الرقمي:

في العصر الرقمي، طرحت الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أسئلة جديدة حول إمكانية تجديد الفضاء العمومي، فبينما توفر هذه الوسائل منصات لحرية التعبير والمشاركة، فإنها في ذات الوقت تؤدي إلى تقسيم النقاشات وتضخم الفجوات الاجتماعية، ومع تطور **الخوارزميات الإعلامية**، أصبح من الممكن أن يتم توجيه النقاشات نحو اهتمامات ضيقة ومتخصصة، مما يعزز من الانقسامات الاجتماعية بدلا من توحيد الآراء حول القضايا العامة .**(McGuigan, 2005, p. 105)**

خلاصة:

يعد الفضاء العمومي البورجوازي من المفاهيم الأساسية لفهم تطور الديمقراطية الحديثة وآليات تشكيل الرأي العام، حيث أنه بالرغم من التحديات التي واجهها الفضاء العمومي البورجوازي، إلا أنه أسهم بشكل كبير في بروز الفكر السياسي الديمقراطي وتوسيع نطاق المشاركة العامة، وفي الوقت نفسه، تظل الأسئلة

المتعلقة بتحديات الفضاء العمومي في العصر الرقمي قائمة، حيث لا يزال التأثير الاجتماعي والإعلامي في تحول مستمر.

المراجع:

1. Hauser, G. A. (1999). *Vernacular Voices: The Rhetoric of Publics and Public Spheres*. Sage Publications.
2. Habermas, J. (1962). *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*. MIT Press.
3. Calhoun, C. (1992). *Habermas and the Public Sphere*. MIT Press.
4. Fraser, N. (1990). *Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy*. Social Text, 25/26, 56-80.
5. Sparks, C. (2001). *The Media and Democracy*. Sage Publications.
6. McGuigan, J. (2005). *The Cultural Public Sphere*. European Journal of Cultural Studies, 8(4), 427-443.